طوق الياسمين

مجموعة قصصية

بقلم

د. حنان إسماعيل عبدالهادي

اسم الكتاب : طوق الياسمين (مجموعة قصصية)

اسم الكاتب : حنان إسماعيل عبدالهادي

رقم الإيداع : ١٥٠٥٨ /٢٠١٩

الترقيم الدولي : 978-977-835-133-0

الطبعة الأولى : ٢٠١٩م

إخراج داخلي : مها المقداد

صادر عن : مؤسسة زَحمَة كُتَّاب/ بوك جارد للثقافة والنشر

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

دار بوك جاردللنشر

Bookguard.publishing@gmail.com

01554870240

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمؤسسة زَحمَة كُتَّاب/ بوك جارد للثقافة والنشر

إهداء..

أهدي هذه المجموعة القصصية إلى

روح أخي –رحمه الله-

دكتور مهندس/ أحمد إسماعيل عبدالهادي

الكاتبة

المقدمة

لقد تميزت الأديبة د.حنان في مجموعتها القصصية هذه؛ ببساطة الأسلوب، سلاسة الأفكار، وعمق المشاعر؛ التي تأرجحت ما بين الغبطة والشجن، وبين الأمل واليأس؛ لتنسج لنا قصصًا محكمة الحبكة، واضحة الهدف، قصيرة العبارات، قريبة إلى قلب القارئ، تأخذه معها إلى عالمها؛ وكأنه يعيش أحداث القصة ويتعايش معها..

والآن نرفع معًا الستار عن الأحداث في "طوق االياسمين"..

الناشر

طوق الياسمين

هناك على ضفاف النيل بدا طفل في السابعة من عمره؛ إنه (خالد)، وقد لطخ وجهه آثار من العناء والتعب، وبعد عمل يوم طويل؛ كان (خالد) يشتري الياسمين من المشتل، ويخيطه في أطواق يسير بها على كورنيش النيل بميدان التحرير، ينادى عليه الأحبة أحيانًا، وأحيانًا أخرى يفرض نفسه عليهم؛ كي يكسب ما يقتات به في يومه.

وذات يوم ممطر قارس البرودة، اشتد عليه البرد فذهب إلى أبيه؛ ليطلب منه أن يشترى له معطفًا يحميه من المطر، لكن قابلته زوجة أبيه مقابلة سيئة للغاية وطردته؛ قائلة: "إذهب لأمك فهي أولى بك!".

نزلت دموعه منهمرة، كاد ألا يرى طريقه من كثرة دموعه. ركب (خالد) سيارة أجرة واستأذن سائقها أن يركب دون أجرة، فقبل السائق وأخده معه، ووصل إلى منزل أمه، وطرق الباب وانتظر طويلًا دون أن يفتح له أحد، دقائق وردت عليه إحدى الجارات بأنّ أمه في زيارة لأختها وستعود آخر الليل.

لم يجد أمامه سوى أن ينتظرها، وطال انتظاره لساعات، حتى نام على درجات السلم. وتأخر الوقت بوالدته فباتت عند أختها، ونام (خالد) حتى الصباح على السلم؛ حتى تجمد الدم في شرايينه ومات. وطوقت أطواق الياسمين رأس (خالد) فظهر كملاكٍ من ملائكة الجنة.

مرحبًا بكَ صديقي العزيز

بعد صراع مرير مع القلق..هل يحبني أم أنه يعتبرني مجرد صديقته المقربة؟!

كل ما أعلمه أنني أحبه، وأجد كل سعادتي بقربه؛ لقد كنت أتنفسه، وكان قلبي لا يكاد ينبض إلا به. كانت صورته هي قِبلتي كل صباح، ولا أستطيع أن أبدأ يومي دون ترتيل حروف اسمه. كان وجود (محمود) فارقًا في حياتي؛ فقد قابلته بعد مرار شديد وصراع مع الأيام، اقتحم حياتي بشكل فجائي، ودون أن أشعر رويدًا رويدًا أصبحت لا أستطيع الاستغناء عنه.

اقتربت منه أكثر كان جميلًا أكثر من اللازم في كل شيء؛ على خُلق ويحبني ويخاف عليّ كثيرًا، مصدرًا للأمان الذي افتقدته من سنين طويلة، كنت أحس بهذا الأمان بمجرد أن أنظر في عينيه أو حتى أحادثه هاتفيًا.

مع الوقت تملكني إحساس؛ أني أريد أن أقترب منه أكثر؛ قررت أن أقطع الشك باليقين، اتصلت به هاتفيًا، إدّعيت أني أريد مساعدته في أمر ما، وطلبت مقابلته من أجل ذلك، و لم يعترض؛ بل وافق على الفور. وبعد أن تناولنا المشروب بدأت أمدح له في شهامته وخِصاله الطيبة، ولمّحت له أني أحبه وأرغب في وجودي دائمًا بجواره. صمت لحظات وأخذ يفكر، مرت لحظات حتى ردَّ عليّ، تلك اللحظات مرت عليّ مر السنين الطويلة.

ردَّ عليّ بكل أناقة، إنني أعتز بكِ كثيرًا يا عزيزتي، ولكن حبي لكِ من نوع آخر، حب أخوي أقوى وأكثر استدامة، ستجدينى دائمًا بجوارك حتى قبل أن تطلبى ذلك؛ أحنو عليك وأدعمك وأساندك، وأكون لكِ الناصح الأمين.

تسمّرت مكاني، حتى عجزت عن النطق، ولكن فكرت بسرعة؛ إن فكرت بأنانية فقد أخسره نهائيًا في هذه اللحظة، وأنا لا أتحمل ذلك، مرت أمامي في هذه اللحظة جميع قصص الحب غير المُوفقة، وأدركت كم الألم الذي مر به هؤلاء الأحبة، وأن كم من الصداقات قد احتوت حبًا عظيمًا، أفاقت ورجعت إلى وعيى بسرعة وحبست دموعي؛ قائلة له: مرحبًا بكَ صديقي العزيز!.

نقطة.. ومن أول السطر

في إحدى جلسات الصلح بمحكمة الأسرة، وقف (أيمن) و(نورا) كل منهما أمام الآخر مُتحفزًا، وينظران لبعضهما شذرًا، يودّ كل واحد فيهما لو أن يقتل الآخر، وأخذ كل واحد منهما ينهال بالاتهامات على الآخر: "أنتَ عينك زايغة!.. أنتِ مهملة في نفسك!.. أنتَ بخيل!.. أنتِ غير قادرة على تدبير أمور بيتك!.. أنتَ شخصيتك ضعيفة وابن أمك!.. أنتِ سليطة اللسان ولا تحترمي أحدًا".

وقف الأخصائي المسئول عن إدارة الحوار والصلح؛ قائلًا: من فضلكما نتكلم بهدوء!!!.. سؤال أريد منكما الإجابة عليه : هل تزوجتما عن حب؟!

أجابوا في نفس واحد: نعم!

سألهما: وأين ذهب هذا الحب؟

صمتا كلاهما..

استمر الأخصائي في كلامه؛ قائلًا: من فضلكما عندي طلب من كليكما؟

نقطة ومن أول السطر.

بمعنى!!.

المطلوب منكما أن تتوقفا للحظة، يقوم كلاكما باستحضار حالة الحب القديم للطرف الثاني في قلبه، ورصيده عنده، وأيامكما الحلوة سويًا، وأن

تنسيا ما مضى وتبدآ صفحةً جديدةً، يسامح فيها كل منكما الآخر، ويتغاضى عن زلاته، وأن يتروى كل منكما قليلًا قبل أي تصرف، ويسأل نفسه: هل هذا التصرف يزعج الطرف الثاني؟

وبالنسبة للزوجة: "إوعديني أن تهتمي بنفسك، وتخصصي بعض الوقت لزوجك، وبالنسبة للزوج حاول البحث عن عمل إضافي في الفترة المسائية كي تتمكن من تدبير جميع أمور بيتك وأولادك. هل اتفقنا؟

نظر كل منهما للآخر وابتسم؛ ورددا في نفس الوقت: نعم اتفقنا!. وتمّ التنازل عن الدعوى المقدمة، وأمسك (أيمن) بيد (نورا) وخرجا، وقد عقدا النية على عدم الرجوع لهذا المكان ثانيةً.

شركاء في حق الحياة

بعد عناء طويل مع الأطباء وعمل فحوص وأشعات وتسليك أنابيب، أنجبت (آمال) ابنتها الأولى، واستقبلتها بفرح شديد؛ هي وزوجها (هشام).

ومرت الأيام ولاحظت (آمال) أنّ ابنتها لا تنمو بالمعدل الطبيعي كباقِ الأطفال؛ بدأت تتردد على أطباء الأطفال لتطمئن على حالة ابنتها، وأكد لها الأطباء أن ابنتها تشكو من إعاقة عقلية وفي حاجة لإجراء عملية جراحية؛ يتم خلالها تركيب جهاز بالفص الأيسر من المخ. تقبلت الأم الصدمة حامدة ربها على ما جرى، وزادها الأمر صعوبة تعلقها الشديد بالابنة، أنها لم تنجب غيرها وشاء القدر ذلك.

ركزت "آمال" مع ابنتها؛ والتي كانت تحتاج إلى رعاية خاصة في مأكلها وملبسها، ومراقبة تصرفاتها. بلغت الطفلة الحادية عشرة من عمرها وبلغت مبلغ النساء، مما ألقى على الأم مزيدًا من العبء في الاهتمام بها؛ فالبنت كانت لا تعي مثل هذه الأمور.

وتدهور الأمر بالبنت، فطلب الأطباء من الأم ضرورة إجراء جراحة عاجلة للبنت، مما وضع الأم في مأزق؛ هل توافق على إجراء الجراحة وتعرض ابنتها لخطر العملية؟ أم تعيش ابنتها على هذه الحالة؟

وقبلت الأم التدخل الجراحي على أمل تحسن حالة ابنتها وشفاءها، وأجريت الجراحة؛ ولكن انتقلت البنت إلى جوار ربها. وحزنت

الأم حزنًا شديدًا لوفاة ابنتها، وانتابتها حالة من الإحساس بالذنب لاتخاذها قرار إجراء العملية، واعتزلت الحياة، ومما زاد الحالة سوءا أن الزوج (هشام) لحق بالابنة إلى جوار ربه فقد كان شديد التعلق بها، فاعتزلت (آمال) الناس وصارت تدعو الله ليل نهار لابنتها ولزوجها.

الأم الصغيرة

(ليلى) إنسانة رقيقة نمت وترعرت في أسرة بسيطة مكونة من خمسة أفراد، توفي والدها وهي في الخامسة عشرة من عمرها، وهي أكبر إخوتها.

اضطرت للعمل لتساعد أمها في تربية أخوتها؛ فكانت تذهب لمدرستها صباحًا، وتعمل في أحد محلات الملابس بعد المدرسة، وتسهر مساءًا على واجباتها. واستمرت على هذا الحال لسنوات عدة إلى أن التحقت والدتها بالرفيق الأعلى.

أكملت (ليلى) رسالتها مع إخوتها، وكانت لهم بمثابة الأب والأم إلى أن تخرجوا في الجامعة، وأعانتهم على تدبير مصاريف زواجهم.

نسيت (ليلى) نفسها في خضم الحياة ومسئولياتها و لم تتزوج، إلى أن وصلها يوم ما إخطار من المحافظة؛ يفيدها بأنها فازت بالمركز الأول كأمٍ مثاليةٍ على مستوى محافظتها.

وفي يوم الاحتفال جاء جميع إخوتها إليها ليأخذوها إلى الحفل، وهناك تقدم إخوتها إلى المنصة، وأشادوا بحنيتها وتضحياتها التي ليس لها مثيل، وأنّ ترشيحهم لها كأم مثالية أقل ما يستطيعون تقديمه لها. صعدت إلى المنصة ودموعها تنهمر من فرط السعادة، وهم يحيطونها ويقبلونها كأبناءٍ لها وليس كإخوة فقط!.

كما تدين تدان

جلست تتذكر والدموع ملء عينيها؛ أهذا الذي أضعت عمري من أجله؟ أهذا الذي أخذت الطعام من فمي لأطعمه؟

وراح خيالها يستدعي كل ذكرياتها القديمة، بعضها سعيد والآخر مؤلم؛ بل في غاية المرارة.

جلست (آمال) في مقعدها في بلكون غرفتها بدار المسنين، وظلت تتذكر يوم زواجها منذ ٢٥ عامًا، وكيف كانت في غاية الفرح والسعادة أن تزوجت من ابن عمها (عمر) والذي جمعهما حبًا شديدًا، وكانت ليلتهما من أجمل ليالِ العمر.

وذهبا ليقضيا شهر العسل في أحد المصايف الراقية المعروفة، وكان زوجها "عمر" حنونًا كريمًا لا يدخر جُهدًا في إسعادها. وانتهى شهر العسل وهمّا بالرجوع إلى القاهرة؛ ليعود (عمر) إلى عمله.

وفي طريق العودة اصطدمت سيارتهما بقاطرة على الطريق، لقى (عمر) حتفه على إثرها في الحال. وانتقلت (آمال) إلى المستشفي ليتم علاجها من بعض الإصابات والكسور، لكن شاء الله أن يحافظ على الجنين الذي حملت فيه؛ ليكون ذكرى؛ بل أجمل ذكرى من زوجها الراحل.

وشفيت (آمال) ورجعت إلى منزل أهلها، وبعد انقضاء عدتها، كانت بطنها بدأت تكبر، وتكبر معها سعادتها بهذا الجنين الذي عوضها به

الله عن زوجها الراحل. وبعد ولادتها للطفل والتي أصرت أن تسميه (ونيسًا)؛ ليكون أنيسًا لها بقية عمرها.

كانت (آمال) جميلة فبدأ يتقدم لها من العرسان أشكال وألوان وهي ترفض بشدة، تدخل الأهل واستاءوا من رفضها فهي لم تزل صغيرة، ولا يجب أن تحرم نفسها من متعة الزواج. لكنها رفضت وأصرت على رفضها، وقالت أن (ونيسًا) سيظل هو ونيس عمرها الوحيد. وكبر (ونيس) ونال من الحب والتدليل ما لم ينله أي طفل، فقد اهتمت والدته بتربيته وتعليمه في أفضل المدارس، واشتركت له بأكبر النوادي.

وكبر (ونيس) واعتاد على الأنانية وأنّ كل طلباته مجابة، وكل أوامره مطاعة. تعرف (ونيس) على بنت في النادي ونالت إعجابه، وطلب من والدته أن يتقدم لخطبتها، وافقت الأم على أن تذهب معه لخطبة فتاته؛ على أن يقيم (ونيس) معها بنفس الشقة؛ ليرعاها فهو وحيدها، لكنها فوجئت باعتراض البنت على ذلك مطالبة إياه بأن يكون لها مسكن زوجية منفصل وخاص بها؛ لكن صدمتها الكبرى كانت في موافقة ابنها الوحيد على ذلك.

وتقبلت (آمال) الأمر على مضد، وتزوج (ونيس). في البداية كان يزور أمه بانتظام رويدًا رويدًا بدأت زياراته تتباعد. ومرضت (آمال)

من حزنها؛ خاصة أن (ونيسًا) لم يعرض عليها أن تقيم معه فترة مرضها ليرعاها.

قررت (آمال) أن تذهب إلى أحد دور المسنين الخاصة؛ لتجد من يعطيها الدواء ويمرضها ويقدم لها الطعام، وبينما هي شاردة الذهن دخلت عليها المساعدة لتعطيها الحقنة؛ فوجدتها غارقة في دموعها وتردد: كما تدين تدان..كما تدين تدان..كما تدين تدان!.

الحمد لله إنه حلم

استيقظت من نومها فزعة وهي تردد الحمد لله.. الحمد لله.

سألتها أمها : ما بكِ؛ حبيبتي؟!

سرحت وهي شاردة الذهن، وكأنها تتذكر تفاصيل أمر هام؛ وقالت سأخبرك يا أمي بما رأيت.

رأيت يا أمي أن شابًا يتودد إليّ بمعسول الكلام، ويغرقني بفيض شعوره وكثير آماله؛ فكان يقول لي: سأبني لكِ بقلبي قصرًا، وسأجعلك أميرته، والأمر الناهي فيه، غذاؤك من شهد قلبي، وشرابك من حبي وحنيني، إن تمنيت شيئًا ستجدينه أمامك قبل أن يغمض طرفك. وتعاهدنا يا أماه على الإخلاص والوفاء، حقًا أحببته أكثر من روحي.

لكن فجأة تغيرت أحواله، وأصبح كثير الغياب متقن الأعذار والحجج، عاتبته لكنه كان سريع البديهة، كثير الكذب، أقنعني. وكان اختفاؤه ثمّ ظهوره من جديد كأنه يخطط لتعلقي به أكثر وأكثر. المهم؛ إدّعى أنه هذه المرة جاد، ولن يختفي ثانية؛ وقال لي أنه يرتب لأمور الزواج، وأنّ المال المتبقي معه لا يسمح لاستكمال متطلبات الزواج؛ فطلب مني أن أقرضه مبلغًا من المال كي يستطيع أن يدبر أمور الزواج، على أن يكتب لي إيصالًا بالمبلغ. رفضت طبعًا من جانب حبي له وثقتي فيه، وأنّ مالي هو ماله مستقبلًا، ووعدني أن يردهم لي في أقرب وقت.

وعاد إلى عادته معيّ في الاهتمام والتواصل اليومي وليتابع معيّ أمور الزواج..أسبوع، ورجع إلى اختفائه مرة أخرى.. وقد سمعت صدفة من صديقة لنا؛ أنّ حفل زفافه بعد أسبوع. تمالكت نفسي بعد أن كدت أصاب بصدمة عصبية، وصممت على حضور حفل زفافه. وذهبت بالفعل ودنوت من "الكوشة" بعد أن تأكدت من وجود "فازة" ورد بجوار الكوشة، أسرعت وأمسكت بالفازة، واتجهت نحوه وانهالت بها ضربًا على رأسه حتى غرق في دمائه... واستيقظت على ندائك لي وأنا أكرر: الحمد لله إنه حلم... الحمد لله إنه حلم.. الحمد لله إنه حلم!.

لقاء ولا في الأحلام

تعرفت عليه من خلال مكالمة تليفونية كان يربطهما عمل ما، تكررت المكالمات، ويومًا وراء يوم تخطى الأمر كونه عملًا، فقد أصبحت تنتظر مكالمته بفارغ الصبر، إلى أن انتظمت تلك المكالمات وأصبحت شبه يوميه؛ بل أنها حددت لها ميعادًا يوميًا. هو أيضًا أصبح حريص على تلك المكالمة طالما كان وقته وظروفه تسمح بذلك. وذات مرة قرر هو أن يكسر حاجز المسافات، وقرر أن يراها وجهًا لوجه، وبالفعل اتفقا أن يتقابلا في "كافيه" معين.

وبالفعل وبأحد الكافيهات قابلته، إنها المرة الأولى التي تقابله فيها، بمجرد أن رأته تسمّرت عينيها وأحدقت النظر فيه، كان وسيمًا، وكأن الله قد تحفه، ملامحه كانت دقيقة وجميلة، نظرت إلى شفتيه وودت لو أنها طبعت عليهما توقيعها ودليل حبها وشغفها به؛ لكنها كالعادة احتفظت بمشاعرها لنفسها، ولم تُبح بها إليه، جلس يتحدث إليها ولكنها لم تزل فاقدة لوعيها ومستمرة في غيبوبتها، كان إلى جانب وسامته، به درجة عالية من الرجولة والشهامة والغيرة، مما زاد شغفها به، لاحظت هي الأخرى إعجابه بها، ولكنه كان يخفيه تحت مساحة كبيرة من خجله. لكن عينيه كانت تنطق شغفًا وحبًّا، وكان يداريها تحت عبارات جافة – فقد كانت تلقبه بأنه "مدب" – لا يجيد تجميل عباراته، لكنه كان طيب القلب ذي وجه بريء. طلب منها أن تحدثه عن نفسها وعن ظروفها، أحست في

سؤاله هذا بنوع من الاهتمام، وحكت له جميع ظروفها بكل صدق. تناولا مشروبهما في هدوء، وعلى وعد بلقاءٍ آخرٍ قريب.

رجعت (هادية) إلى مترلها بعد لقائها هذا، وهي تكاد تطير فرحًا من فرط سعادتها، تكاد تُقبل كل مَن تقابله في مترلها، تناولت عشاءها بشهية منقطعة النظير، لم تعهدها في نفسها.

جلست على أريكتها وهي تتذكر تفاصيل اللقاء، وقلبها ينبض حبًّا مع كل مشهد يمر بذاكرتها، وحين تستدعى مشهد لمس يده ليدها حين صافحها، ودقات قلبها التي توالت مسرعة وهي تشعر بمنتهي الغبطة والسعادة، حاولت أن تنام لكن كأن الليل قد أقسم عليها أن تقيمه ساهرة مفتحة العينين.

أدارت بجانبها شيء من الموسيقى الهادئة، وجلست تستمع إليها في حالة استرخاء، وتناولت تليفونها لكي تتصل عليه، وتطمئن على وصوله، ردَّ عليها وطمأنها أنه وصل بسلامة الله، عندئذٍ خلدت إلى النوم؛ لتنتقل إلى عالم سحرى آخر تستكمل فيه سعادتها.

مرت الأيام والمكالمات لا تنقطع؛ بل لم يكتفِ بالمكالمات الصوتية؛ بل أصبح يفتح "الكاميرا" ليرَها ويملأ عينيه منها ويستمتع بجمال ورقة صوتها، و لم يمر شهر حتى اطمأن أنهما متوافقان في كل شيء، حتى نقاط الخلاف بينهما غير مزعجة؛ بل كانا يستمتعا بها ليحلو الصلح بعدها.

طلب منها أن تحدد موعدًا من والدها ليقابله ويطلب يدها، فقد أصبحت كيانًا رئيسًا في حياته لا يستطع الاستغناء عنه. وبالفعل تقدّم لوالدها ونال القبول، وتمّ زفافهما وكانت الفرحة ترقص في أعينهما، وكانت دقات قلوبهما أعلى من ضجيج أصوات المطربين من فرط سعادتهما أن جمعهما الله على خير.

أَضغاث أحلام

كانت تتطلع إليه بشغف حين تسمعه يتكلم، فقد كان مثقفًا.. مفوهًا.. أسلوبه ناعم جدًا في الكلام.. ومع الوقت أصبحت تنتظر حضوره لتستمع إليه، وكأن أذنها أدمنت سماع صوته، إن غاب يومًا عن عينيها اشتاقته، وكأن يومها ينقصه الكثير بدونه. حتى أنه أصبح يُرافقها في أحلامها وتسعد كثيرًا حين تراه في منامها.

لاحظ بعينيه الخبيرتين نظراتها وهي تختلسها إليه؛ حتى لا يلاحظ تعلقها الشديد به، لكنه انتهز ذات مرة فرصة انفراده بها، وصرح لها بحبه هو أيضًا لها وأنه يعرف أنها تحبه أيضًا. أخذ منها موعدًا لمقابلته بإحدى الكافيهات وافقت على الفور ودون تردد، فلم تكن تتوقع أنه يحبها هو الآخر.

وقابلته ومع أول لمسة يد منه لها وقعت صريعة حبه، فلم تكن قد أحبت قبل ذلك، فهو حبها الأول، وتوالت المواعيد بعد ذلك تتقارب أحيانًا وتتباعد أحيانًا أخرى..

لقد كانت منفصلة حديثًا عن زوجها، وتحمل كمًا من الألم بداخلها يُشعرها دائمًا بغصة ومرارة، ومنذ عرفته بدأت تشعر بأنها إنسانة من جديد ومرغوب فيها. وكانت تصبر عليه وتقدر ظروفه حين يغيب ويعود لها مرة أخرى.

ومع مرور الوقت تعلقت به أكثر وأكثر، وكان يتعمد أن يغيب عنها كثيرًا، ويغلق تليفونه بالأيام حتى يجن جنونها، وحين تسأله لم يتصرف كذلك كانت أعذاره واهية. ومما أطار عقلها أنها كانت تشاهده صدفة في الشارع أو بأي أماكن عامة بصحبة إحدى السيدات.. وكعادته يختلق الأعذار والحجج الواهية.

وتحت ضغط حبها لها كانت تسامحه، وأقنعها أن يتزوجا مؤقتًا سرًا حتى تتحسن ظروفه وقبلت؛ لكنها ما لبثت أن خُدعت فيه خداع العمر.. لقد كان في نفس الوقت يرتب لزواجه علنيًا من أخرى، وتزوجها بالفعل. لقد وقع هذا الخبر عليها كخنجرٍ في وسط قلبها. أخذت تترنح يمينًا ويسارًا، وتتمنى أن تموت لكي تتخلص من هذا الإحساس القاتل المميت.

لقد شل تفكيرها وأصبحت عاجزة عن التفكير تمامًا؛ فهي أول تجربة حب في حياتها وأصابتها في مقتل، وبعد فترة من زواجه طلبت مقابلته، وأرغمته على طلاقها.

وبعد أن استعادت نفسها مرة أخرى، جلست مع نفسها وحاولت إعادة ترتيب حياتها مرة أخرى. غيّرت من طريقة لبسها والتحقت بعمل إضافي، ونمت مهاراتها وأصبحت سيدة مجتمع من الدرجة الأولى.. فقد كانت جميلة بطبيعتها؛ ولكنها لم تكن تحب إظهار جمالها ومفاتنها.

تقدّم لها الكثيرون والكثيرون، ولكنها رفضت فلم تعد تثق بأي رجل، فقد تزوجت زواج تقليديًّا وفشلت، ثمّ تزوجت مَن أحبت وفشلت أيضًا؛ لذا فلا داعي من تكرار التجربة المؤلمة للمرة الثالثة. وقررت أن تعيش حياتها دون زواج؛ فقد اكتشفت أن كل أحلامها بحبيبها كانت... أضغاث أحلام!.

كارثة!..

ابني مدمن!..

جلست (رشا) أمام شاشة الكمبيوتر كعادتها عندما تريد أن تعرف ما استجد عليها من أمور. في السابق كانت تبحث عن أكلة جديدة تسعد بها أسرتها، أو طريقة مبتكرة لتنظيف المطبخ، أو حتى ربطة حجاب جديدة؛ أما هذه المرة فالوضع جد مختلف ومهم.

جلست تبحث عن أعراض جديدة بدأت تظهر على ابنها، وظلت تنتقل من موقع لموقع، ومن منتدى لآخر، وهي تكذِّب عينيها، نعم وبكل أسف هي نفس الأعراض: فقدان الشهية– الهزال– جفاف الفم– شعور بالدوار– بجانب ضعف القدرات العقلية... إنها أعراض الإدمان.. إدمان الأفيون.

كانت تسمع عن بعض الأقارب أو حتى أبناء الجيران؛ الذين يدمنون أنواع مختلفة من المخدرات؛ سواء عن طريق الشم كالكُلة أو الهيروين، أو الفم كالحشيش أو حتى الحقن.

هذه المرة تسمّرت مكانها، وأحست بالعجز المُفاجئ، كيف ومتى حدث ذلك، لابد وأن يكون أثناء تواجده في النادى مع أصدقائه أو عندما يذهب إليهم ليذاكروا سويًّا. لقد كان (مجدي) ابنها من المتفوقين في مدرسته؛ أما الآن فلم يعد قادرًا على التركيز بالمذاكرة. لابد أنّ أحد أصدقاءه غار منه ومن تفوقه؛ فقرر أن ينتقم منه، وساقه إلى هذا الطريق.

والآن ما العمل؟ وكيف تتصرف لتعالج ابنها وتبعده عن أصدقاء السوء هؤلاء؟ هداها تفكيرها إلى زيارة الأخصائي الاجتماعي بمدرسة (مجدي)

فهو مؤهل لمعالجة مثل هذه الحالات، بالإضافة بالطبع إلى زيارة الطبيب المتخصص في حالات الإدمان.

وبالفعل في صباح اليوم التالي ذهبت (رشا) لمدرسة (مجدي) وقابلت الأخصائي، وشرحت له الأعراض التي ظهرت على ابنها بالفعل. قال لها الأخصائي: لا تقلقي؛ إنّ وجود فرد يتعاطى بالأسرة ليس بوصمة عار على جبينها؛ بل هي حالة طارئة يجب أن تتكاتف جهود الأسرة بالكامل لإنقاذه منها، وتكف عن لومه وتعييره وعقابه، وعليها أيضًا تشجيعه على مواصلة علاجه ودعمه نفسيًا، وحل المشكلات التي كانت سببًا في انحرافه حتى لا ينتكس.

وشرح الأخصائي للأم مراحل العلاج؛ وهي:

١ .***مرحلة التخلص من السموم:*** وهي مرحلة طبية في الأساس، تعتمد على مساعدة جسم المدمن في التخلص من هذه السموم، والتخفيف من آلام الانسحاب؛ ثم علاج الأعراض الناجمة عن مرحلة الانسحاب.

٢ .***مرحلة العلاج النفسي الاجتماعي:*** وهي تنصب على المشكلة ذاتها بغرض القضاء على أسباب الإدمان، وتشمل العلاج النفسي الفردى للابن المتعاطى، ثمّ تمتد الى الاسرة ذاتها لعلاج الاضطرابات التي أصابت علاقات أفرادها، كما تشمل تدريبات عملية للمتعاطى على كيفية اتخاذ القرارات وحل المشكلات ومواجهة الضغوط، وكيفية الاسترخاء والتنفس والتأمل

والنوم الصحى، كما يتضمن أخيرًا العلاج الرياضى لاستعادة المدمن كفاءته البدنية، ودعم قيمة احترام نقاء جسده وفاعليته.

٣.***مرحلة التأهيل والرعاية اللاحقة***: وتشمل مرحلة التأهيل العملي وعلاج المشكلات؛ التي تمنع عودته لدراسته أو عمله، ومرحلة التأهيل الاجتماعي، وتستهدف إعادة دمج المدمن في الأسرة والمجتمع.

٤. ***وأخيرًا؛ مرحلة الوقاية من النكسات***: وهي مرحلة المتابعة العلاجية لَمن شفي لفترات تتراوح بين ستة أشهر وعامين من بداية العلاج، مع تدريبه وأسرته على الاكتشاف المبكر للعلامات المنذرة لاحتمالات النكسة، لسرعة التصرف الوقائى تجاهها، على أن يتم إبعاده عن أصدقاء السوء في مرحلة العلاج وفي مرحلة النقاهة أيضًا.

ركزت الأم مع كلام الأخصائي بكل حواسها؛ بل تكاد تكون حفظته عن ظهر قلب، حصلت الأم لابنها على أجازة مرضية من مدرسته، وأخذته بعيدًا عند مترل أختها؛ لتتمكن من مراقبته ومتابعته وإبعاده عن هؤلاء الفسدة من الأصدقاء.

بدأت الأم حلقات العلاج، وكان من أسوأها بل وأشدها؛ هي الأيام الأولى، وهي فترة انسحاب المُخدر من الجسم، فلطالما سمعت صراخه وعويله، بل أنه حاول الانتحار أكثر من مرة، وتقوم بنجدته في اللحظات

الأخيرة، وكانت تتقطع ألمًا وهي ترى ابنها وفلذة كبدها وهو بهذه الحالة، وكانت تدعو الله ليل نهار أن يمر ابنها من هذه المرحلة بسلام.

وبعد فترة طويلة من التعب المُضني؛ تماثل الابن للشفاء، وحمدت الأم ربها الذي ردّ إليها ابنها سالمًا، وشكرت الأخصائي الذي قدّم لها يد المعاونة.

" نِهال "

تعرفتُ عليها بمكتبةِ الجامعة، كانت تجلس أمام جهاز الكمبيوتر؛ لتبحث عن موضوع ما، طلبت مساعدتي لها لإجراء البحث عن موضوعها بطريقة صحيحة، لم أتأخر عنها وساعدتها. ثمّ صعدت إلى الطابق العلوى من المكتبة؛ لتطلع على ما قامت بتجميعه من دراسات. وأنا بدورى فعلت ذلك أيضًا. وتقابلنا في نهاية اليوم عند ماكينة التصوير؛ لتتسلم كل منا ما طلبت تصويره من أبحاث ورسائل.

خرجنا سويًا من الجامعة، وهي مازالت تشكرني على مساعدتي لها، وقامت بدعوتي لمنزلها لتناول الشاي، ونتكلم في تفاصيل بحثها. قبلت دعوتها، وخاصة أنها بنت في سن الشباب وأنا من عمر والدتها تقريبًا، وكانت تسكن بالقرب من الجامعة.

وصلنا إلى منزلها، دخلت، وغيرت ملابسها، وظهرت في قميص نوم رقيق وجميل. دخلت إلى المطبخ وجهزت لنا مشروب ساخن. وطلبت لنا الغداء (دليفري) من أحد المطاعم الكبيرة.

أحضرت أوراقها وبدأنا نتكلم عن البحث، لكني فوجئت بأنها غيرت مكان جلوسها، فبعد أن كان بالمقابل لي، انتقلت وجلست بجواري، وطلبت مني أن أخلع الحجاب؛ وخاصة أنه لا يوجد غيرنا بالمنزل، خلعته بالفعل؛ وخاصة وأن الجو كان شديد الحرارة. وجدتها تثني على جمال شعري وجسمي وتتلمسه بطريقة غريبة، ابتعدت عنها.

وبدأت الريبة تدخل إلى قلبي تجاهها، بدأت تدخل في تفاصيل غزلية نوعًا ما، وأنها أعجبت بي وبجسمي، حينها تأكدت ظنوني ولم تعد شكوكًا.. نعم؛ هي سحاقية. ولاحظت أنّ تفاعلها بدأ يزيد، حينها ارتديت حجابي وهممت بالانصراف، وجدتها تعترض طريقي، صفعتها على وجهها وبكل قوة، وهددتها أني سأبلغ عنها ويتم فصلها من الجامعة.

حينها انهارت باكية؛ وقالت لي: أستحلفك بالله ألا تفعلي، سأحكي لكِ قصتي كاملة. لقد سافرت مع أبي وأمي إلى دولة عربية وأنا لازلت صغيرة، ورأيت البنات هناك تفعلن ذلك، واستدرجتني إحداهن ذات مرة وفعلت معيّ ذلك، أحسست بمتعة بعدها، وخصوصًا أنه مجتمع مغلق، لا يسمح بالاختلاط، تكرر الوضع أكثر من مرة إلى أن اعتادته، وأصبح مصدر متعة لي، ولكن لم يعلم أبواي بذلك. وعندما حصلت على الثانوية العامة رجعت إلى مصر لأكمل تعليمي الجامعي هنا.

اتصلت بأحد زملائي من أطباء الطب النفسي وشرحت له حالتها، وقال لي أن أرسلها له، وسيقوم بعلاجها في سرية تامة حتى تعود إلى حالتها الطبيعية.

"نوال"

جلست (نوال)، وهي امرأة تبدو في الأربعين من عمرها، على "الشيزلونج" في عيادة الطبيب النفسي بعد أن أعطاها الطبيب حقنة مهدئة، تمددت وبدأت تحكي للطبيب ما تتذكره من أحداثها الماضية.

تروي أنها منذ صغرها وهي فتاة جميلة شقية؛ لها الكثير من المغامرات العاطفية مع أولاد الجيران والأقارب. تعرفت من بينهم على شاب وأحبته، وكبرا سويًا وكبر الحب بينهما؛ إلى أن وصلا إلى سن الزواج، فتقدّم للزواج منها وقبلته أسرتها.

وكبرت في السن لكنها لم تنضج، ظلت تميل لعمل علاقات كثيرة مع شباب كثيرين، رغم أنها تحب زوجها؛ لكنها ترى أنه لا يحقق لها الإشباع الكافي، هذه العلاقات بعضها كانت بريئة والبعض الآخر غير بريئ بالمرة، بعض هذه العلاقات كان يكتشفها زوجها بالصدفة؛ لكنه كان يسامحها بدافع حبه الشديد لها، أو على أمل أن الله سيهديها يومًا ما.

إحدى هذه العلاقات كانت في منزلها وعلى فراش الزوجية، وكان رجلًا خسيسًا، قام بتصويرها ليضمن استمرار علاقتهما باستخدام التهديد.

وبعد أن انتهت من العلاقة، وجدته يرتب للمرة التالية في موعد لاحق، رفضت متحججة بظروفها؛ فهددها بأنه قام بتصويرها، وأنه سوف يرسل الفيديو لزوجها إن رفضت.

عندئذ شعرت بوبال تصرفها الشنيع، وكيف أنه سيكون سببًا في دمار بيتها، وفضيحة ذلك الرجل الذي استأمنها على شرفه وعرضه، وأنها لم تكن كفء لتلك المسئولية. اتصلت على أحد أصدقاءه واستأمنته سرها، فقام بسرقة موبايل صديقه، ونزع منه كارت الميموري بما عليه، وسلمه لها على أن تعده بألا يتكرر هذا الشأن.

وفعلًا قررت نوال؛ أن تتوقف عن هذا الفعل، وأن تذهب إلى الطبيب النفسي للعلاج والذي أخبرها بأنه مرض نفسي معروف (فرط النشاط الجنسي nymphomania)، ويمكن علاجه إذا انتظمت معه في الجلسات، أو يلزمه تدخل عضوي في بعض الأحيان.

ضياع

في إحدى دور الرعاية، وقف (حمدي)؛ ليختار بنتًا من البنات ليكفلها ويرعاها، وبالفعل اختار بنتًا من أجمل البنات ليرعاها؛ فكانت (حنان)، وبالفعل سدد جميع إجراءات الكفالة، ووقع إقرارًا بموافقته على متابعة الأخصائيين بالدار لحالتها من وقت لآخر.

واصطحبها إلى منزله، حيث كانت زوجته في انتظارهما، استقبلتها بحفاوة، ورحبت بها .

كبرت البنت بينهما، وكان لها بالغ الأثر في قلبيهما، وقلب الأب بصفةٍ خاصة، فقد كان لها نصيب كبير من اسمها (حنان)، كانت توقظه صباحًا على قبلة على جبينه، وابتسامة عريضة من ثغرها، وحين يمرض كان تحزن كثيرًا من أجله، وتقدم له الدواء بيدها، ويسمعها وهي تدعو الله له أن يشفيه.

وقام (حمدي) بعمل إجراءات تبني ل (حنان) في غياب دور الاخصائيين الاجتماعيين الذين لم يتابعوا الحالة.. وعندما بلغت البنت الثالثة عشرة من عمرها، فوجئ (حمدي) بزيارة من الأخصائية الاجتماعية، فزع كثيرًا من هذه الزيارة، واعتقد أنها جاءت لتأخذ البنت من حضنه، بعد أن أحبها كثيرًا؛ لحنانها الشديد عليه، فصارت ابنته التي لم ينجبها.

ودار جدل شديد حول كيفية عمل إجراءات التبني لها، وكنها مجرد بنت يقوم بكفالتها، انتهت بإصابة (حمدي) بأزمة قلبية جعلته يلتحق بجوار ربه.

في هذا الوقت بدأ طمع إخوة (حمدي) في الميراث، وأنه لا يحق ل (حنان) أن تشاركهم الميراث، فلجأوا لعمل إجراءات نفي البنوة، وأنها مجرد بنت تكفل بها أخوهم من دار للرعاية، وليس لها أى حق في الميراث.

تاهت (حنان) في وسط هذه المعركة، ولا تدري ما مصيرها؟ هل ستأخذ نصيبها من الميراث وتعيش به عيشة كريمة بعيدًا عن الدار؟ أم ستخضع لإجراءات الأخصائي الاجتماعي وتعود إلى دار الرعاية مرة أخرى؟!..

خِسة ونذالة

كانت (سماح) تنظر إليه (د.مدحت) نظرة إجلال وتقدير، فقد كان زميل والدها – رحمة الله عليه– في الجامعة، وأوصاه عليها كثيرًا قبل وفاته.

كانت لا تزال في السنة الثالثة في الجامعة، وكانت تذهب اليه بمكتبه كلما احتاجت الى شيء في القسم أو أثناء فترة الامتحانات، كما كان يحضر لها النتيجة مبكرًا من الكنترول.

وتخرجت (سماح) في الجامعة، اتصل عليها (د.مدحت) لتحضر اليه بمكتبه بالجامعة، ليتناقش معها عّما تريد أن تفعل بعد تخرجها، هل ستبحث عن عمل أم ستكمل دراستها العليا بالجامعة؟ واستطاع أن يقنعها بأن تكمل دراستها العليا بالجامعة، ووافقت (سماح) بالفعل وخصوصًا أنها حصلت على تقدير جيد جدًا بالسنة الرابعة.

والتحقت بمرحلة الماجستير واختارت (د.مدحت) مشرفًا عليها، وكانت تتردد على مكتبه كثيرًا لُمتابعة الرسالة، وكثيرًا ما كان يغلق الباب أثناء وجودها معه بالمكتب، وكان يطلب منها أحيانًا أن تحضر بعض الكتب من مكتبته الكائنة خلفه، أو يلمس يدها أثناء تناوله الكتب من يدها، وهي لا تدير بالًا لهذه الأمور.

وذات مرة اتصل عليها، وأبلغها أنه في أجازة لمدة شهر لوعكة صحية ألمت به، وطلب منها أن تحضر ما طلب منها من تعديلات وتأتي إلى مترله.

وذهبت إليه بالفعل و لم تدرِ بالفخ الذي أعده لها، فقد أمر الشغالة أن تعد لها مشروبًا وتنصرف.

ضربت الجرس ففتحت لها الشغالة الباب فدخلت، إلى المترل ثمّ إلى غرفة مكتبه، دقائق وظهر في ملابس غرفة النوم ومن فوقها الروب.

اندهشت لهيئته هذه، إلا أنه لم يتركها تستوعب الأمر حتى هجم عليها، حاولت الهرب والفرار منه إلا أنه كان قد أحكم الشبكة عليها، ونال منها ما يريد.

أصيبت (سماح) بصدمة عصبية أهذا صديق والدها والذي أوصاه والدها عليها، أم هو حيوان فقد كل ملامح الإنسانية، و لم يعبأ بقدسية وظيفته حتى؟

والآن ما العمل؟ هل ستسكت؟ أم تخبر أمها بهذه الكارثة؟ أم تبلغ عنه الجامعة؟ لقد شل عقلها؛ وأصبحت غير قادرة على التفكير.

كَارثة في بيتى

(كوثر) امرأة عاملة، تعمل بإحدى الوزارات، يبدأ عملها في الثامنة صباحًا وحتى الثالثة. في البداية كانت تضع أبناءها بإحدى دور الحضانة، وكان لديها طفلين، ولدًا وبنتًا، (خالد) و(سها)، وكان (خالد) يكبر (سها) ب ٤ سنوات.

فبعد بلوغ (خالد) سن ٦ سنوات، كانت (كوثر) تأخد (سها) إلى منزل والدتها صباحًا، وترجع عند والدتها لكي تأخذها في آخر اليوم . وعند بلوغ (خالد) سن العشر سنوات كانت (سها) بلغت ٦ سنوات ودخلت المدرسة.

طلبت (كوثر) من خالد أن يصطحب أخته إلى المنزل بعد المدرسة، حتى تعود هي من عملها. وقالت له: سوف تجد سندويتشات معدة لكما على السفرة، وشاهدا التليفزيون حتى أعود، ولا تدع أختك تقترب من "البوتوجاز"، ولا أن تمسك أي سلاح حاد من المطبخ، أو كبريتًا.

سمع خالد كلام أمه، وردّ عليها بالإيجاب ألا تقلق، فهما ليسا صغارًا.

وذات مرة وهما يشاهدا التلفاز، ظهرت أمامهما مشاهد حب.. أحب خالد أن يقلدها هو مع أخته، اقترب منها وقال لها لا تخافي، فأنا أحبك كما يحب البطل البطلة، وكما كنت أرى أبي مع أمي خلسة، وكانت لا تخاف أياه. وأخذ يحضنها ويقبلها من باب التقليد.

مرّ عامان على هذا الوضع، وذات مرة الأمر اختلف، لقد بلغ خالد مبلغ الرجال، وتحركت شهوته تجاه أخته، فأحس بجسمه يختلف، وأحس بثورة عارمة في جسده، و لم يهدأ حتى لبى متطلبات تلك الثورة مع أخته.

إنها كارثة بالفعل، لكنهما خافا أن يبلغا أحدا بما حدث. ندم (خالد) بعض الوقت، لكنه عاد لنفس الأمر بعد برهة من الوقت، فقد كانت متنفثًا لرغبته المكبوتة.

هجرة غير شرعية

هناك في إحدى القرى بمحافظة الغربية نشأ (سامح) مع والدته (فتحية) بعد وفاة والده، وبعد فترة من الوقت تزوجت والدته، وكان هو في الخامسة عشر من عمره. ومع الوقت اتضح أن زوج والدته (زكي) كان شخصًا سيئًا للغاية، وكان يتعاطى المخدرات. لكن للأسف الشديد بعد فترة من الوقت لم يتوقف الأمر على ذلك بل تعداه إلى أنه كان يقوم بالانتهاك الجنسي ل (سامح) ليلًا بعد أن تنام والدته. لم يتحمل سامح هذا الوضع، تشاجر مع زوج والدته وضربه، وهرب من المترل، وأقام عند صديق له بالقرية (وليد).

بعد فترة من الزمن عرض وليد على سامح فكرة الهجرة غير الشرعية إلى إيطاليا. نعم يعلمان أنها في غاية الخطورة وقد تودي بحياتهما، لكنهما أيضًا يريان أنّ الموت لاحق بهما في جميع الأحوال، فالحياة التي يعيشونها ليس بها أي آدمية.

وذهبا إلى مكتب بالقرية مسئول عن ذلك، وقدما إليه ما ادخراه من أموال. وبالفعل ركبا المركب المتجه إلى ايطاليا، وقبل الشاطئ بمسافة معينة ألقيا بأنفسهما في الماء قبل الحدود الرسمية للشاطئ، وعاما في الماء حتى وصلا إلى الشاطئ وكتبت لهما النجاة.

عملا (سامح) و(وليد) كباعئين متجولين، ثمّ بعد ذلك استأجرا محلًا لبيع لعب الأطفال، ومع الوقت كبرت تجارتهما، وأسسا شركة كبيرة، وأصبحا يستوردان لعب الأطفال.

لم ينس (سامح) طفولته وما أحس به من يُتم وشقاء بعد وفاة والده، فأنشأ مؤسسة لرعاية الأطفال الأيتام في بلدته، وتشغيلهم في حرف صغيرة حتى لا يقعوا في براثن مَن يستغلهم أو يؤذيهم.

أصغر فتاة ليل

تعرفتُ عليها في أحد دور الرعاية، وكانت تُدعى (قمرًا)، وهي بنت في الرابعة عشرة من عمرها، وكانت اسم على مسمى، تشبه البدر ليلة تمامه؛ سألتها : ماذا أتى بكِ إلى هنا؟ هذا ليس مكانك!.

قالت لي: أنا من المنصورة، وأبي رجل شديد، دائمًا ينهرني ويضربني لأتفه الأسباب. ذات مرة تعرفت على صديقة لي من خلال الفيسبوك (مروة). كنا نتحاور كثيرًا، وكثيرًا ما كانت تحدثني وأنا أبكي، تسألني ما بكِ؟ أقول لها بأن أبي ضربني فتهون عليّ.

وذات مرة كنت أبكي بشدة؛ فقالت لي: وما يجبرك على ذلك؟ أتركي له المترل وتعالي عندي في القاهرة وسأستضيفك عندي. ولم أكذب خبرًا، ففي أول مرة ضربني جمعت ملابسي في شنطة صغيرة، وانتظرت حتى نام الجميع وهربت من المترل متجهة إلى القاهرة.

استقبلتني (مروة) بحفاوة شديدة، وقدمت لي الطعام، وخصصت لي غرفة لنومي، وفي اليوم التالي نزلت معيّ واشترت لي ملابس جديدة فرحت بها كثيرًا.

وبعد أسبوع من الترحيب؛ قالت لي: أنه لابد لي أن أبدأ العمل، سألتها وما عملي؟ أجابتني أنني سأقف في مكان ما سأنتظر فيه، وسيأتي أناس معينين بسيارهم سأركب معهم ويصطحبوني إلى مترلهم، ويقضوا متعتهم.

كنت يوميًا أصطحب اثنين أو ثلاثة، إلى أن تمّ القبض عليّ من بوليس الآداب، وتمّ إيداعي في هذا الدار لصغر سني، حتى أكمل ال ١٨ عامًا، وأتم عقوبتي في سجن النساء.

سألتها وما شعورك الآن وقد أضعت مستقبلك؟..

قالت لى : ليتني تحملت قسوة أبي، و لم أهرب من المترل..

أُمٌ ضميرها مات

من خلال عملي كباحثةٍ دخلت إلى مؤسسة الأحداث، جلست إلى جوار أحد الأطفال؛ وسألته: كيف حالك يا حبيبي؟ قال بخير!.

ما اسمك؟!.. أجابني: محمود.

سألته : ما الذي جاء بك إلى هنا يا حبيبي؟

أجابني لم أفعل شيئًا، أمي أحضرتني إلى هنا.

قولت له لا تخف يا حبيبي، لن أضايقك ولن أؤذيك، لكن أجبني بصراحة.

أجابني: "والله يا أبلة؛ لم أفعل شيئًا"!.

اندهشت من إصرار الطفل وثباته الانفعالي.

استدعيت الأخصائية الاجتماعية والمسئولة عن متابعة حالته في الدار؛ فأجابتني من خلال ملفه:

الاسم : محمود

العمر : ٦ سنوات

الحالة:

لقد تزوجت أمه بعد وفاة أبيه، وأنجبت من زوجها الجديد، ويعتبره زوجها الجديد مصدر إزعاج له، بحجة أنه يعمل مشاكل مع الأولاد في الشارع، وأنه يضرب إخوته، فلفق له تهمة أنه سرق موبايل، وصدقته زوجته،

وذهبت وأودعته بيدها بمؤسسة الأحداث، ليعاقب على جريمة لم يفعلها، وليخرج من هذه المؤسسة مجرمًا حقيقيًا، حاقدًا على قرنائه، وأنه تمّ حبسه وعقابه على جريمة لم يرتكبها، وأنه قد يحصل على خبرة في مجال الجريمة، تؤهله ليكون مجرمًا حقيقيًا فيما بعد.

حكمة الوالدين

في قرية من قرى الصعيد، نشأ (محمد) في أسرة طيبة، كان مهندسًا مرموقًا، وكان أصغر إخوته، وأقربهم إلى قلبِ أبيه، فهو يرى نفسه من خلاله، وأنه الوحيد الذي حقق له أمنيته، وكان أكثرهم طاعة له.

تعرف (محمد) على فتاة أحلامه وأحبها حبًّا شديدًا، وطلب من والداه أن يذهبا معه لخطبتها، لكن رفض والداه أن يرتبط ابنهما بتلك الفتاة؛ فقد كانت من نفس الحي، ووالداها في منتهى الغِلظة.

لكن لأول مرة يعصي (محمدًا) والداه، وأصرّ على الزواج منها؛ لأنه رأى أنه رجل، ومن الرجولة أن يفي الرجل بوعده. وتمّ الزواج بالفعل؛ لكن سرعان ما اكتشف (محمد) فطنة والداه وصدق حدسهما. لم يطل (محمد) في خصامه لوالديه؛ بل ذهب في أيام زواجه الأولى واعتذر لهما، وقبلا اعتذاره.

مع مرور الأيام اكتشف (محمد) في زوجته (عبير) صفات لم يرها فيها أثناء فترة الخطوبة، من عِناد، وكسل، وعدم مهارة في إدارة شئون المترل، لكنه كان يحبها ولديه أمل أن تتصلح أحوالها وتتغير للأحسن. أنجبا طفلًا والثاني، ولا شيء يتغير، احتدم النقاش بينهما أكثر من مرة ووصل للطلاق، لكنه كان يرجع إليها من أجل الأبناء؛ فقد كان هو حنونًا جدًا على أبنائه، بينما هي في منتهى القسوة واللامبالاة.

مرت السنوات بينهما جافة، فلكلٍ منهما طبعه ولا أحد يتغير. تعرف (محمد) في أحد الأيام على (أمل)، وبالفعل رأى فيها أملًا وطوق النجاة، فقد بدأ قلبه يتعلق بها؛ بل ويحبها، وارتاح قلبه إليها. لكن هل هناك أمل في الارتباط بها في ظل ظروفه هذه؟.

وهل ستتصالح معه الأيام ويستطيع أن يتزوجها؟ هذا ما سوف تكشف عنه الأحداث في الأيام المقبلة.

شبح العنوسة

نشأت (سعاد) في أسرة متوسطة الحال، عبارة عن أب وأم وولدين وبنتين، وكانوا على حظٍ ضعيف من الجمال.

أكمل ثلاثة منهم تعليمهم الجامعي، أما الابنة الرابعة فلم تتمكن من إكمال تعليمها لظروف مرضية. فجلست بالمترل تساعد أمها في إدارة شئون المترل.

التحقت (سعاد) بالعمل، ولكنها كانت ليس كباقِ البنات، لا يتقدم لخطبتها أحد، كانت تحزن من داخلها كلما رأت هذه وتلك من حولها وهن تتزوجن وتنجبن أطفالًا، وهي بنفس الحال.

حتى المجاملات المعتادة بين الزملاء في حالة الزواج والإنجاب، أصبحت تستاء منها؛ لأنها تدفع كثيرًا، ولا أحد يرد لها المجاملة.

بدأت ملامح السن تبدو عليها، وترى فرصتها في الارتباط والزواج تقل رويدًا رويدًا. فأصبحت الزميلات تعرضن عليها مَن هو أرمل أو مطلق، وهي ترفض بشدة، فكان أملها أن تتزوج من إنسان أعزب؛ مثلها مثل باقِ البنات.

والإنسان الوحيد الذي تقدم إليها، ودخل مترلها ليخطبها، كان مريضًا، و لم يكرر زيارته مرة أخرى.

تبدلت نفسية (سعاد) وأصبحت تزداد سوءًا يومًا بعد يوم، وتزداد عصبيتها في الكلام مع زملائها وأهلها، ولا تقدر بأن تبوح بأن شبح العنوسة؛ هو السبب في تلك الحالة.

توفي والدها، وتزوج أخواها، ولم يبقَ بالمترل سوى هي وأختها المريضة ووالدتها؛ مما زاد من قلقها وعصبيتها من قلق الوحدة، فوالدتها سيدة كبيرة في السن، وكل يوم في زيارة من طبيب لآخر. فماذا تفعل وما مصيرها بعد وفاة والدتها؟!.

السيرة الذاتية

د/ حنان إسماعيل محمد عبدالهادي

·دكتوراة في العلوم الإنسانية البيئية، معهد البحوث والدراسات البيئية، جامعة عين شمس.

·مدير عام المكتبات والمعلومات، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.

·مجالات الاهتمام: الأنثروبولوجيا البيئية- علم الاجتماع البيئي- الأنثروبولوجيا الثقافية- التنمية المستدامة- علم نفس النمو- علم النفس البيئي- إدارة الكوارث والأزمات- الإدارة البيئية.

·المشاركة بورقة عمل بعنوان "الأمن الاجتماعي" في فعاليات المؤتمر الدولي الثاني المعنون "مجتمع المخاطر ومشكلات الأمن الاجتماعي في الوطن العربي: تحديات الواقع واستشراف المستقبل" المُنعقد في الفترة من ٣-٤ مارس ٢٠١٩م بجامعة قناة السويس بالإسماعيلية.

·المشاركة بورقة عمل بعنوان " التنمية المهنية للمعلم في ضوء الاتجاهات المعاصرة" في فعاليات المؤتمر العلمي الحادي عشر "الدولي الثاني" المعنون "تطوير التعليم وبناء الإنسان المُعاصر" المُنعقد يوم ٢٤ أبريل ٢٠١٩م بكلية التربية جامعة المنيا.

·المشاركة بورقة عمل بعنوان "واقع استخدام بنك المعرفة لدى باحثي المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية" في فعاليات المؤتمر الثاني والعشرين للجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات والأرشيف المعنون "دور مرافق المعلومات في بناء الإنسان" والمُنعقد في الفترة من ٩- ١١ يوليو ٢٠١٩م في مكتبة مصر العامة بمرسى مطروح.

·حصلت على العديد من الدورات العلمية المتخصصة، ودورات لإجادة اللغة الانجليزية.

·عضو نشط في جمعية المحافظة على التراث المصري، وقمت بعمل صالون ثقافي حول البيئة والتنمية المستدامة.

·أيضًا عضو في جمعية حقوق الإنسان والتنمية.